غزوة ذي قَرَد[١]

ولما انصرف رسول الله ﷺ عن بني لحيان لم يبق بالمدينة إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن في بني عبد الله بن غطفان، فاكتسحوا لقاحاً[٢] كانت لرسول الله ﷺ بالغابة[٣]، وكان فيها رجل من بني غفار وامرأة له، فقتلوا الغفاري، وحملوا المرأة واللقاح.

وكان أول من أنذرهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي كان ناهضاً إلى الغابة، فلما علا ثنية الوداع نظر إلى خيل الكفار وأنذر المسلمين، ثم نهض في آثارهم، فأبلى بلاءً عظيماً حتى استنقذ أكثر ما في أيديهم. ووقعت الصيحة بالمدينة، فكان أول من جاء إلى النبي ﷺ في حين الصيحة المقداد بن الأسود، ثم عباد بن بشر، وسعد بن زيد الأشهليان، وأسيد بن ظهير الأنصاري، وعكاشة بن محصن الأسدي، ومحرز بن نضلة الأسدي الأخرم، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، وأبو عياش الزريقي واسمه عبيد بن زيد بن صامت. فلما اجتمعوا أمر رسول الله ﷺ عليهم سعد بن زيد. وقيل: إن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عياش الزريقي معاذ بن ماعص أو عائذ بن ماعص وكان أحكم للفروسية من أبي عياش.

فأول من لحق بهم محرز بن نضلة الأخرم فقتل، رحمه الله، قتله عبد الرحمن بن عيينة بن حصن وكان على فرس لمحمود بن مسلمة أخي محمد بن مسلمة أخذه وكان صاحبه غائباً، فلما قتل رجع الفرس إلى آريه[٤] في بني عبد الأشهل، وقيل: بل أخذ الفرس عبد الرحمن بن عيينة؛ إذ قتل محرز بن نضلة عليه، وركبه. ثم قتل سلمة بن الأكوع عبد الرحمن بن عيينة بالرمي في خرجته تلك واسترجع الفرس وخرج رسول الله ﷺ على فرس لأبي طلحة، وقال: «**إن وجدته لبحرا**»، وانهزم المشركون، وبلغ رسول الله ﷺ ماءً يقال له: ذو قرد، ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة، وأقام على ذلك الماء يوماً وليلة. وكان الفضل في هذه الغزاة والفعل الكريم والظهور والبلاء الحسن لسلمة بن الأكوع،

---

(١) ذو قرد ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر وكان رسول الله ﷺ انتهى إليه لما خرج في طلب عيينة حين أغار على لقاحه. معجم البلدان(٤/ ٣٢١).

(٢) لقاح: جمع لقحة، وهي الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة، أو هي الحاملة ذات اللبن.

(٣) الغابة: موضع شمال المدينة.

(٤) آريه: المكان الذي يربط فيه.

وكلهم ما قصر ﷺ .

وكان المشركـون قد أخذوا ناقة رسـول الله ﷺ العضباء في غـارتهم تلك على سرح المدينة ونحوا بها وبتلك المرأة الغفارية الأسيرة امرأة الغفاري المقتول، وقد قيل: إنها لم تكن امرأة الغفـاري المقتول وإنما كانت امرأة أبي ذر، والأول قـول ابن إسحاق(١) وأهل السير. قال: فنام القـوم ليلة وقامت المرأة فـجعلت لا تضع شـيئاً على بعـير إلا رغـا، حتى أتت العضباء، فإذا ناقة ذلول، فركبتهـا ونذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها. فلما قدمت المدينة عرفت ناقة النبي ﷺ فأخبر بذلك، فأرسل إليها، فجيء بها وبالمرأة، فقالت: يا رسول الله نذرت إن نجاني الله أن أنحرها، فقال رسول الله ﷺ : «**بئس ما جزيتـها، لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**»(٢). وأخذ ناقته ﷺ .

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٤٣).

(٢) أخرجـه أحمـد في مسنده (١٩٨٧٦، ١٩٩٠٨)، ومـسلم (١٦٤١)، وأبو داود (٣٣١٦)، والدارمي (٢٥٠٥).

غزوة بني المصطلق من خزاعة

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة باقي جمادى الأولى ورجباً، ثم غزا بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة من الهجرة، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، وقيل: بل نميلة ابن عبد الله الليثي. وأغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون [١] وهم على ماء يقال له: المريسيع [٢] من ناحية قديد [٣] مما يلي الساحل، فقتل من قتل منهم وسبى النساء والذرية وكان شعارهم يومئذ: أمت أمت، وقد قيل: إن بني المصطلق جمعوا لرسول الله ﷺ، فلما بلغه ذلك خرج إليهم، فلقيهم على ماء يقال له: المريسيع، فاقتتلوا، فهزمهم الله. والقول الأول أصح: أنه أغار عليهم وهم غارون.

ومن ذلك السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها، فأدى عنها رسول الله ﷺ، فأعتقها وتزوجها. وشهدت عائشة رضي الله عنها تلك الغزاة، قالت: ما هو إلا أن وقفت جويرية بباب الحباء تستعين رسول الله ﷺ في كتابتها، فنظرت إليها فرأيت على وجهها ملاحة وحسناً، فأيقنت أن رسول الله ﷺ إذا رآها أعجبته، فما هو إلا أن كلمته، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أو خير من ذلك أن أؤدي كتابتك وأتزوجك**». قالت: وما رأيت أعظم بركة على قومها منها، فما هو إلا أن علم المسلمون بأن رسول الله ﷺ تزوجها، فأعتقوا كل ما بأيديهم من سبي بني

---

(١) قوله: وهم غارون هو بالغين المعجمة وتشديد الراء أي غافلون وفي هذا الحديث جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة من غير إنذار بالإغارة وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب حكاها المازري والقاضي:

أحدها: يجب الإنذار مطلقا قال مالك وغيره وهذا ضعيف، والثاني: لا يجب مطلقا وهذا أضعف منه أو باطل، والثالث يجب إن لم تبلغهم الدعوة ولا يجب إن بلغتهم لكن يستحب وهذا هو الصحيح وبه قال نافع مولى ابن عمر والحسن البصري والثوري والليث والشافعي وأبو ثور وابن المنذر والجمهور قال ابن المنذر: وهو قول أكثر أهل العلم وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على معناه فمنها هذا الحديث وحديث قتل كعب بن الأشرف وحديث قتل أبي الحقيق وفي هذا الحديث جواز استرقاق العرب؛ لأن بني المصطلق عرب من خزاعة وهذا قول الشافعي في الجديد وهو الصحيح، وبه قال مالك وجمهور أصحابه وأبو حنيفة والأوزاعي وجمهور العلماء وقال جماعة من العلماء: لا يسترقون وهذا قول الشافعي في القديم. شرح النووي على مسلم(١٢/ ٣٦).

(٢) ماء لبني المصطلق بينه وبين الفرع نحو من يوم وبين الفرع والمدينة ثمانية برد.

(٣) قديد: قرية كانت لخزاعة كثيرة البساتين، على الطريق من المدينة إلى مكة.

المصطلق وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، وأسلم سائر بني المصطلق(١).

وقد اختلف في وقت هذه الغزاة، قيل: كانت قبل الخندق وقريظة، وقيل: كانت بعد ذلك وهو الصواب إن شاء الله. وقتل في هذه الغزاة هشام بن صبابة الليثي خطأ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة لم يعرفه، وظنه من المشركين.

وفي هذه الغزاة قال عبد الله بن أبي بن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؛ وذلك لشر وقع بين جهجاه بن مسعود الغفاري وكان أجيراً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وبين سنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج، فنادى جهجاه الغفاري: يا للمهاجرين، ونادى الجهني: يا للأنصار. وبلغ زيد بن أرقم رسول الله ﷺ مقالة عبد الله ابن أبي بن سلول، فأنكرها ابن أبي، فأنزل الله عز وجل فيه سورة المنافقون، فقال رسول الله ﷺ لزيد بن أرقم: «**وفت أذنك يا غلام**»، وأخذ بأذنه. وتبرأ عبد الله بن عبد الله بن أبي من فعل أبيه وأتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله أنت والله العزيز وهو الذليل، أو قال: أنت الأعز وهو الأذل، وإن شئت والله لنخرجنه من المدينة. وقال سعد ابن عبادة: يا رسول الله إن هذا رجل يحمله حسده على النفاق، فدعه إلى عمله، وقد كان قومه على أن يتوجوه بالخرز قبل قدومك المدينة ويقدموه على أنفسهم، فهو يرى أنك نزعت ذلك منه، وقد خاب وخسر إن كان يضمر خلاف ما يظهر، وقد أظهر الإيمان فكله إلى ربه. وقال عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول: يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي فإن كنت تريد ذلك فمرني بقتله، فوالله إن أمرتني بقتله لأقتلنه، وإني أخشى يا رسول الله ﷺ إن قتله غيري أن لا أصبر عن طلب الثأر فأقتل به مسلماً فأدخل النار، وقد علمت الأنصار أني من أبر أبنائها بأبيه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له، وقال له: «**بر أباك ولا يرى منك إلا خيراً**». فلما وصل رسول الله ﷺ والمسلمون إلى المدينة من تلك الغزاة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي لأبيه بالطريق، وقال: والله لا تدخل المدينة حتى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٥٧).

كما أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٤٠٨)، وابن حبان (٤٠٥٤)، والبيهقي في الكبرى (١٨٥٨٣)، كلهم من طريق محمد بن إسحاق، وحسنه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح أبي داود (٣٣٢٧).

وواضح أن اقتران الرسول بجويرية لم يكن لجمالها كما ظنت السيدة عائشة، وإنما كان سياسة منه ليعتق المسلمون من بأيديهم من نساء القوم وليستعطف عشائرهم حتى يدخلوا في الإسلام وفعلا دخلوا فيه وتمت عليهم نعمة ربهم.

يأذن لك رسول الله ﷺ بالدخول، فأذن رسول الله ﷺ بدخوله(١).

وفي هذه الغزاة قال أهل الإفك(٢) في عائشة رضي الله عنها ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، ونزل القرآن ببراءتها(٣).

ورواية من روى أن سعد بن معاذ راجع في ذلك سعد بن عبادة وهم وخطأ، وإنما تراجع في ذلك سعد بن عبادة مع أسيد بن حضير، كذلك ذكر ابن إسحاق(٤) عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله وغيره، وهو الصحيح؛ لأن سعد بن معاذ مات في منصرف رسول الله ﷺ من بني قريظة لا يختلفون في ذلك، ولم يدرك غزوة المريسيع ولا حضرها.

وقدم رسول الله ﷺ المدينة، فقدم عليه مِقْيَس بن صبابة مظهراً للإسلام وطالباً لدية

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٥٤)، والقصة في البخاري (٣٥١٨)، ومسلم (٢٥٨٤).

(٢) الإفك: أقبح الكذب وأفحشه، والذي تولى كبر هذا الإفك هو عبد الله بن أبي ابن سلول، وبعض رجال من الخزرج وحديث الإفك رواه البخاري في «الشهادات» وفي «الأيمان والنذور»، وفي «الاعتصام» وفي «الجهاد» وفي «التوحيد» ومسلم في «التوبة» (٢٧٧٠)، باب في حديث الإفك. والترمذي في «التفسير» (٣١٨٠) تفسير سورة النور، والنسائي في عشرة النساء (٤٥).

(٣) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ١١-٢٦].

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٦٥).

أخيه هشام بن صبابة، فأمر له عليه السلام بالدية، فأخذها، ثم عدا على قاتل أخيه، فقتله، وفر إلى مكة كافراً، وهو أحد الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم في حين دخول مكة (١).

ثم بعث رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد إسلامهم بأكثر من عامين الوليد بن عقبة بن أبي معيط مصدقاً لهم، فخرجوا ليتلقوه، ففزع منهم، وظن أنهم يريدونه بسوء، فرجع عنهم. وأخبر رسول الله ﷺ أنهم ارتدوا ومنعوا الزكاة وهموا بقتله. فتكلم المسلمون في غزوهم، فبينما هم كذلك إذ قدم وافدهم منكراً لرجوع مصدقهم عنهم دون أن يأخذ صدقاتهم وأنهم إنما خرجوا إليه مكرمين له، فأكذبه الوليد بن عقبة، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يا أيُها الَّذينَ آمنُوا إن جَاءكُمْ فاسقٌ بنبأ ﴾[الحجرات: ٦] يعني الوليد بن عقبة ﴿ فتبيَّنوا أن تصيبُوا قوماً بجهالة ﴾ الآية (٢) .

(١)السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٥٦، ٢٥٧).

(٢)السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٥٩).

obeikandl.com

عمرة الحديبية

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة منصرفه من غزوة بني المصطلق رمضان وشوالاً، وخرج في ذي القعدة معتمراً، فاستنفر الأعراب الذين حول المدينة، فأبطأ عنه أكثرهم. وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن اتبعه من العرب، وجميعهم نحو ألف وأربعمائة، وقيل: ألف وخمسمائة.

وساق معه الهدى، وأحرم رسول الله ﷺ بعمرة ليعلم الناس أنه لم يخرج لحرب، فلما بلغ خروجه قريشاً خرج جمعهم صادين لرسول الله ﷺ عن المسجد الحرام ودخول مكة، وأنه إن قاتلهم قاتلوه قدون ذلك، وقدموا خالد بن الوليد في خيل إلى كراع الغميم، فورد الخبر بذلك إلى رسول الله ﷺ وهو بعسفان، فسلك طريقاً يخرج منه في ظهورهم وخرج إلى الحديبية من أسفل مكة، وكان دليله فيه رجلاً من أسلم فلما بلغ ذلك خيل قريش التي مع خالد جرت إلى قريش تعلمهم بذلك.

ولما وصل رسول الله ﷺ إلى الحديبية بركت ناقته ﷺ، فقال الناس: خلأت خلأت[١]، فقال النبي عليه السلام: «**ما خلأت، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس**[٢] **الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة رحم إلا أعطيتهم إياها**»، ثم نزل ﷺ هنالك، فقيل: يا رسول الله ليس بهذا الوادي ماء، فأخرج عليه السلام سهماً من كنانته، فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل في قليب من تلك القُلُب، فغرزه في جوفه. فجاش الماء الرواء[٣] حتى كفى جميع أهل الجيش وقيل: إن الذي نزل بالسهم في القليب ناجية بن جندب بن عمير الأسلمي وهو سائق بدن رسول الله ﷺ يومئذ، وقيل: بل نزل بالسهم في القليب البراء بن عازب.

ثم جرت الرسل والسفراء بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، وطال التراجع والتنازع إلى أن جاءه سهيل بن عمرو العامري، فقاضاه[٤] على أن ينصرف عليه السلام عامه ذلك، فإذا كان من قابل أتى معتمراً ودخل هو وأصحابه مكة بلا سلاح حاشا السيوف

---

(١) خلأت: حرنت.

(٢) أي الله جل جلاله.

(٣) الرواء: الماء العذب السائغ.

(٤) قاضاه: أي صالحه.

في قُرُبِهَا فيقيم بها ثلاثاً ويخرج. وعلى أن يكون بينه وبينهم صلح عشرة أعوام يتداخل فيها الناس ويأمن بعضهم بعضا، على أن من جاء من الكفار إلى المسلمين من رجل أو امرأة رد إلى الكفار ومن جاء من المسلمين إلى الكفار مرتدا لم يردوه إلى المسلمين.

فعظم ذلك على المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام. وكان رسول الله ﷺ أعلم بما علمه الله من أنه سيجعل للمسلمين فرجاً، فقال لأصحابه: «**اصبروا فإن الله يجعل هذا الصلح سبباً إلى ظهور دينه**»، فأنس الناس إلى قوله بعد نفار منهم. وأبى سهيل بن عمرو أن يكتب في صدر صحيفة الصلح من محمد رسول الله قال له: لو صدقناك بذلك ما دفعناك عما تريد، ولا بد أن يُكْتَب: باسمك اللهم فقال لعلي وكان كاتب صحيفة الصلح «**امح يا علي، واكتب باسمك اللهم**». وأبى علي أن يمحو بيده رسول الله فقال له رسول الله ﷺ: «**اعرضه علي**»، فأشار إليه، فمحاه ﷺ بيده، وأمره أن يكتب: من محمد بن عبد الله.

وأتى أبو جندل بن سهيل يومئذ بأثر كتاب الصلح، وهو يرسف في قيوده، فرده ﷺ على أبيه، فعظم ذلك على المسلمين، فأخبرهم ﷺ وأخبر أبا جندل أن الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً. وكان رسول الله ﷺ قد بعث عثمان بن عفان إلى مكة رسولاً، فجاء خبر إلى رسول الله ﷺ بأن أهل مكة قتلوه، فدعا رسول الله ﷺ حينئذ المسلمين للمبايعة على الحرب والقتال لأهل مكة. وروي أنه بايعهم على أن لا يفروا. وهي بيعة الرضوان تحت الشجرة التي أخبر الله عز وجل أنه رضي عن المبايعين لرسول الله ﷺ تحتها[١]، وأخبر رسول الله ﷺ: أنهم لا يدخلون النار. وضرب رسول الله ﷺ بيمينه على شماله لعثمان وقال: «**هذه عن عثمان**» فهو كمن شهدها.

ذكر وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال[٢]:

أول من بايع رسول الله ﷺ يوم الحديبية أبو سنان الأسدي، وذكر ابن هشام عن وكيع[٣]: كانت قريش قد جاء منهم نحو سبعين أو ثمانين رجلاً للإيقاع بالمسلمين وانتهاز الفرصة في أطرافهم، ففطن المسلمون لهم فخرجوا، فأخذوهم أسرى، وكان ذلك والسفراء

---

(١) وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾ [الفتح: ١٨].

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٨٣).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٨٢)، ولكن في السيرة النبوية أنهم كانوا أربعين أو خمسين رجلا.

يمشون بينهم في الصلح. فأطلقهم رسول الله، فهم الذين يسمون العتقاء، وإليهم ينسب العتقيون فيم يزعمون، ومنهم معاوية وأبوه فيما ذكروا.

فلما تم الصلح بين رسول الله ﷺ وبين أهل مكة الذي تولى عقده لهم سهيل بن عمرو على ما ذكروا، أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن ينحروا ويحلوا. ففعلوا بعد توقف كان بينهم أغضب رسول الله ﷺ، فقالت له أم سلمة رضي الله عنها: «**لو نحرت لنحروا**»(١). فنحر رسول الله ﷺ هديه، فنحروا بنحره. وحلق رسول الله ﷺ رأسه، ودعا للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين واحدة(٢). قيل: إن الذي حلق رأسه ﷺ يومئذ خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأتاه أبو بصير عبيد بن أسيد بن جارية الثقفي حليف لبني زهرة هارباً من مكة مسلماً، وكان ممن حبس بمكة مع المسلمين، فبعث فيه الأزهر بن عبد عوف عم عبد الرحمن بن عوف والأخنس بن شريق الثقفي رجلاً من بني عامر بن لؤي ومولى لهم. فأتيا النبي عليه السلام، فأسلمه إليهما على ما عقد في الصلح. فاحتملاه، فلما صاروا بذي الحليفة قال أبو بصير لأحد الرجلين: أرى سيفك هذا سيفاً جيداً فأريه، فلما أراه إياه ضرب به العامري فقتله وفر المولى فأتى النبي ﷺ وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**هذا رجل مذعور ولقد أصاب هذا ذعر**». فلما وصل إليه أخبره بما وقع. وقال: غدر بنا وبينما هو يكلمه إذ وصل أبو بصير، فقال: يا رسول الله قد وفت ذمتك وأطلقني الله عز وجل، فقال رسول الله ﷺ: «**ويلمه مسعر حرب لو كان له رجال**»(٣)، أو قال: «**أصحاب**». فعلم أبو بصير أنه سيرده فخرج حتى أتى سِيف البحر، موضعاً يقال له: العيص من ناحية ذي المروة على طريق قريش إلى الشام، فجعل يقطع على رفاقهم واستضاف إليه قوماً من المسلمين الفارين عن قريش، منهم أبو جندل بن سهيل، فجعلوا لا يتركون لقريش عيراً ولا ميرة ولا ماراً إلا قطعوا بهم. فكتبت في ذلك قريش إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: نرى أن تضمهم إليك إلى المدينة، فقد آذونا.

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦ / ٢٤٠).

(٢) حديث دعاء النبي ﷺ للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة.
رواه البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠٢) عن أبي هريرة، وللحديث طرق متعددة جمعها الشيخ الألباني رحمه الله في إرواء الغليل (٤ / ٢٨٥، ٢٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وأبو داود (٢٧٦٥).

وأنزل الله تعالى بعد ذلك القرآن بفسخ الشرط المذكور في رد النساء(١)، فمنع رسول الله ﷺ من ردهن، ثم نزلت سورة براءة، فنسخ ذلك كله، ورد على كل ذي عهد عهده وأن يمهلوا أربعة أشهر، ومن لم يستقم على عهده لا يستقام له. وهاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، فأتى أخواها: عمارة والوليد فيها، ليردوها، فمنع الله عز وجل من رد النساء المؤمنات إلى الكفار إذا امتحن فوجدن مؤمنات(٢). وأخبر أن ذلك لا يحل. وأمر المؤمنين أيضاً أن لا يمسكوا بعصم الكوافر(٣)، ولا ينكحوا المشركات، يعني الوثنيات، حتى يؤمن.

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾[الممتحنة: ١٠].

(٢) قال السهيلي: هذا عند أهل العلم مخصوص بنساء أهل العهد والصلح وكان الامتحان أن يستخلف المرأة المهاجرة أنها ما خرجت ناشزا ولا هاجرت إلا لله ولرسوله، فإذا حلفت لم ترد ورد صداقها إلى بعلها وإن كانت من غير أهل العهد لم تستحلف ولم يرد صداقها .الروض الأنف(٤/٤٨).

(٣) أي من كانت له امرأة كافرة بمكة ـ فلا يعتد بها فليست له امرأة ـ فقد انقطعت عصمتها؛ لاختلاف الدارين.

وكان ممن طلق عمر بن الخطاب طلق امرأته قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة وأم كلثوم بنت جرول أم عبيد الله بن عمر الخزاعية، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجلا من قومه وهما على شركهما. انظر السيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٩٥، ٢٩٦).